

## عبدالقاهر الجرجاني العالم النحوى

د. فؤاد على مخيمر

هو أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني ، النحوى ، الامام المشهور ، الشافعى المذهب ، المتوفى سنة ٤٧١ هـ (١) عاش حياته فى ربوع أسرة متواضعة ، بعيدة عن رغد العيش ، فبدأ حياته بالتقشف والزهد والورع ، وانصرف عن اللهو والترف ، الأمر الذى ساعده على تحصيل العلم ، فتربت فيه ملكة حب العلم ، فأقبل على المؤلفات وأمّهات الكتب يلتهمها وبخاصة كتب النحو والأدب . وكان من حسن الطالع أن تتلمذ عبدالقاهر على يد أستاذين كبيرين من الأعلام المبرزين فى ذلك الوقت ألا وهما :

- أبو الحسين محمد بن الحسن بن عبدالوارث ، الفارسى ، النحوى ( المتوفى سنة ٤٢١ هـ ) نزيل جرجان (٢) .

- وأبو الحسن على بن عبدالعزيز ، الجرجانى ( المتوفى سنة

٣٩٢ هـ ) (٣) .

ويعد محمد أبو الحسين الفارسى ، النحوى ، أستاذاً لعبدالقاهر ، وأبو الحسين هذا أخذ علمه عن خاله علم العربية ، أبو على الفارسى - صاحب كتاب الايضاح فى النحو ، والمتوفى سنة ٣٧٧ هـ فاستقى عبدالقاهر علم النحو من منابعه الأصيلة والفيضة .

ويبدو أن أبا الحسين الفارسي قرأ كتاب خاله ، الايضاح - لتلميذه عبدالقاهر حيث عنى عبدالقاهر بهذا الكتاب عناية بالغة ، فقد وضع عليه شرحا كبيرا يبلغ زهاء ثلاثين مجلدا وسماه ( المغنى ) ثم اختصر هذا الشرح فى كتاب سماه ( المقتصد ) فى نحو ثلاثة مجلدات .  
هذا فضلا عما اغترفه عبدالقاهر من بحر أستاذه الأديب الأريب النحوى أبى الحسن على الجرجانى ، الأمر الذى جعل عنده ملكة النظم والاسهاب فى علم الأدب والبلاغة ، معالجا نظرياته وآراءه وقضاياها بالقواعد النحوية وذلك واضح كل الوضوح فى كتابه ( دلائل الاعجاز ) .

وبذلك يعد عبدالقاهر من علماء العربية الأفذاذ الذين قدموا بمؤلفاتهم خدمات جليلة للقرآن الكريم وعلوم اللغة بشتى فروعها ، وبخاصة فى علم النحو .

علمه وفضله وشهادة العلماء له :

لقد بلغ علم عبدالقاهر مبلغا كبيرا جعل العلماء يفتنون اليه ينتفعون بعلمه فضلا عن تلاميذه الذين تتلمذوا على يديه ، الأمر الذى جعلهم يهتمون بمؤلفاته ويعكفون على شرحها والتعليق عليها ، فكتابه ( الجمل ) قام بشرحه أكثر من خمسة عشر علما من أعلام العربية حسبما ذكر فى كشف الظنون (٤) -

وكتابه العوامل المائة فى النحو أيضا شرحه زهاء ثلاثة عشر علما كما ذكر صاحب الكشف . (٥) هذا فضلا عن مؤلفاته النحوية الغزيرة فى مادتها العلمية والتي سأحدث عنها - ان شاء الله تعالى - فى هذا البحث .

ولقد بلغ من اهتمام أصحاب مؤلفات كتب التراجم ، أن أبرزوا علم  
عبدالقاهر الجهم الغزير ، وبخاصة فى علم النحو ، وذلك بذكر مؤلفاته  
فى هذا الفن ، وشهاداتهم له بالبراعة ، وطول الباع ، وسعة الأفق .  
فذكروا أنه كان يلقب بالنحوى ، وعد من أكابر النحويين ، وعلى  
معانى النحو وقواعده بنى نظريته فى البلاغة والبيان ، فاشتهر بذلك ،  
وذاع صيته فى الآفاق ، وشدت إليه الرحال ، وقصده طلاب العلم من  
جميع الأرجاء ، هكذا ذكر عنه المؤرخون (٦) .

ويقول عنه محمد بن على الماوردى صاحب طبقات المفسرين انه  
لم يرله شبيها فى النحو . (٧)

ويقول عنه يوسف بن تغرى بردى : انه النحوى اللغوى شيخ  
العربية ، كان اماما متقنا ، انتهت إليه رئاسة النحاة فى زمانه .  
تلاميذه :

تتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم ، وكان من أبرزهم فى علم  
النحو :

(١) على بن زيد الفصيحي النحوى .

(٢) أبو نصر أحمد بن محمد الشجرى والذى أخذ عنه كتاب

المقتصد فى النحو .

تصانيفه النحوية :

ذكر المؤرخون الذين ترجموا لعبد القاهر ثمانية مؤلفات نحوية ،  
بعضها لم أقف على مكانه ، وبعضها الآخر اطلعت عليه فى دار الكتب  
المصرية ، وهذه المؤلفات هى :

## ١- المغنى :

وهو شرع مبسوط يبلغ زهاء ثلاثين مجلدا ، والذي دفعه الى تأليف هذا الكتاب هو اعجابه بكتاب الايضاح فى النحو للشيخ أبى على الفارسى ، الذى قرأه عليه شيخه أبو الحسين الفارسى . حسبما ذكرت فى مقدمة هذا البحث ، فرأى عبدالقاهر فيه حسن الأداء وسماحة التأليف ، فأعجب بما حصله من هذا الكتاب ، حيث وجد ثمرة النحو التى نبتت من منبعها الاصيل ، فقام بتأليف هذا الشرح المبسوط ، وان دل هذا على شئى فانما يدل على موهبة عبدالقاهر النحوية الفذة حيث أجاد السباحة فى هذا المحيط ، وغاص فى عمقه ، فكان من نتاج غوصه أن خرج لنا بهذا المؤلف النحوى الضخم .

هذا وان لم نقف على مكان هذا الكتاب الا أن حجم الكتاب وما فيه من علم يعرف بأصله الذى نبع منه واعتمد عليه ، ألا وهو ( الايضاح ) الذى يشتمل على مائة وستة وتسعين بابا ، منها مائة وستة وستون فى فن النحو ، والباقى الى آخره فى فن التصريف .

وأىضا فان ما بدا لنا من اعجاب المؤرخين ، وشهادة العلماء لهذا الكتاب وتقديمه فى الذكر على جميع مؤلفاته ، يدلنا دلالة واضحة على أن هذا الكتاب أبرز جهود عبدالقاهر فى مجال النحو ، وأحرز اعجاب المعاصرين له ومن أتوا من بعده .

## ٢- المقتصد :

وهو شرح ملخص لكتاب المغنى ، جعله فى ثلاثة مجلدات ، وألفه سنة ٤٥٤ هـ وقرأه عليه أحمد بن محمد الشجرى ، أحد تلاميذه ، وقد ذكر فى طبقات المفسرين ، وفى نزهة الألباء أنه فى ثلاثة مجلدات .

وذكر صاحب كشف الظنون أنه فى مجلد واحد ، وربما كان مجلدا واحدا ضخما يمكن تقسيمه الى ثلاثة أقسام .

وتوجد نسخة خطية من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٠٣ نحو .

ومنهج عبدالقاهر فى هذا الشرح أنه يأتى بنص كتاب الايضاح كاملا فى الموضوع الذى يعالجه ، ثم يشرع فى شرح ألفاظ الايضاح واضعا نص كتاب الايضاح مسبوفا بكلمة ( قال صاحب الكتاب ) يعنى به الشيخ أبا على الفارسى وبعد تمام نص كتاب الايضاح تاتى عبارة ( قال المفسر ) سابقة شرح عبدالقاهر .

وان المتأمل فى شرح عبدالقاهر لهذا الكتاب يجد أنه أجاد فى شرحه حيث اختصر فيه شرحه لكتاب المغنى ، فبسط المسائل النحوية من غير تقصير مخل ولا تطويل ممل ، بل كان الاعتدال مذهبه ، فنراء يستعرض القضية النحوية مستشهدا بأراء العلماء ومذاهب السابقين من علماء البصرة والكوفة و بغداد كسيبويه والخليل ويونس و ابنى الخطاب الأ خفش والكسائى والفراء والمبرد والمازنى والسيرافى وابن كيسان ، وغيرهم من أعلام العربية ، فضلا عن استشهاده بكثير من الآيات القرآنية والشعر العربى وأقوال العرب ، وبهذا نرى أن شرحه هذا يكشف عن الغامض فى كتاب الايضاح فيستفيد منه القارئ . ويقدم خدمات جليلة فى هذا المجال .

### ٣- العوامل المائة فى النحو :

وهو كتاب مشهور متداول ، توجد منه أربع نسخ خطية بدار الكتب المصرية تحت أرقام ٣١ ، ٧٨ ، لغة ٧٩٢ مجاميع نحو ، ١٨٣٢ نحو ،

كتبت بخط النسخ المعتبر .

ولقد عكف على شرح هذه العوامل الكثير من فحول علماء النحو  
المبرزين ومن أشهرهم :

- شمس الدين محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل بن أبي علي  
الحنبلى . المتوفى سنة ٧٠٤ هـ فى كتابه ( الفاخر فى شرح جمل  
عبدالقاهر ) .

- السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ هـ  
علق عليه فى حاشية .

- وشرحه العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العينى الحنفى  
المتوفى سنة ٨٥٥ هـ .

- وفى اعرابه كتاب للمولى عاشق قاسم الأرنيقى ، المتوفى سنة  
٩٤٥ هـ .

- وشرحه المولى أحمد بن مصطفى ، المعروف بطاشكبرى زادة  
المتوفى سنة ٩٦٨ هـ .

- وشرحه أيضا يحيى بن نصوح بن اسرائيل الأدرنوى ، المتوفى  
سنة ١٠٢٤ هـ .

- وشرحه مصطفى بن ابراهيم فى كتاب سماه ( تحفة الاخوان )  
طبع فى الاستانة سنة ١٢٣١ هـ . ١٣٢٣ هـ .

- وعلق عليه زينى زادة ، فى كتاب سماه ( الفواضل على اعراب  
العوامل ) ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٥ نحو قوله .

- وعلق عليه الشيخ ابراهيم بن أحمد الجزرى فى كتاب سماه ( )  
الاعراب فى ضبط عوامل الاعراب ) .

- وترجمه بالتركية كمال الدين المدرس .

وبعد . . . فان كثرة الشروح والتعليقات ووضع الحواشى والاعراب التى عنى بها العلماء حول هذا الكتاب المتواضع فى مبناه الغزير فى معناه ، ان دل على شئى ، فانما يدل على مدى أهمية هذا الكتاب فى خدمة القواعد النحوية ، والمساهمة الفعالة فى وضع الضوابط الصحيحة لعلم العربية ويتضح لنا هذا الأمر جليا اذا استعرضنا الكتاب ، وها أناذا أعرضه عرضا سريعا أمام القارى ليضع يده على علم المؤلف ويعرف قدره ، ويقر بجلاله واسهامه الفعال فى علم النحو فأقول : ذكر المؤلف رحمه الله - فى مقدمة كتابه أن العوامل المائة تنقسم الى قسمين : لفظية ومعنوية .

فاللفظية منها تنقسم قسمين : سماعية وقياسية .

فالسماعية منها : واحد وتسعون عاملا  
والقياسية منها : سبعة عوامل  
والمعنوية منها : عددان

ثم شرع - رحمه الله - فى توضيح السماعية ، فذكر أنها تتنوع على ثلاثة عشر نوعا ، اذكر منها خمسة على سبيل التمثيل .

فالنوع الأول : حروف تجر الاسم فقط وهى سبعة عشر حرفا

(الباء ، ومن والى وفى ، واللام ، ورب ، وعلى ، وعن ، والكاف ، ومذ ومنذ ، وحتى وواو القسم وباؤه وتاؤه ، وحاشا وعدا وخلا ) ، ولكل حرف من هذه الحروف معان كثيرة ، ذكرها المؤلف ، ومثل لها من القرآن الكريم أو من كلام العرب ، كما أفصح عن طريقة استخدام هذه الحروف بايجاز غير مخل بالمراد .

والنوع الثاني : حروف تنصب الاسم وترفع الخبر وهي ستة :  
 ( وانٌ وأنٌ وكانٌ ولكن وليت ولعلٌ ) وأوضح معاني كل واحد منها ومثل  
 وذكر العلة التي من أجلها ذكر المعنى ، ووجه القول بايجاز يحمل  
 في طياته المعنى الحجم الغزير .

والنوع الثالث : حرفان يرفعان الاسم وينصبان الخبر ، وهما :  
 ( ما ولا ) المشبهان بليس .

والنوع الرابع : حروف تنصب الاسم المفرد فقط ، وهي سبعة  
 أحرف : ( الواو بمعنى مع ، والا الاستثنائية ، ويا وإيا وأى والهمزة وهيا )  
 وأوضح المعاني المتصلة بكل حرف على حدة مع التمثيل والتوجيه  
 لهذه المعاني .

والنوع الخامس : حروف تنصب الفعل المضارع وهي أربعة :  
 ( أن ولن وكى واذن ) وبين معانيها ، ثم تابع - رحمه الله - عرض باقي  
 العوامل بأسلوب سهل يدعو القارئ الى الفهم ويستوى في ذلك  
 المتخصص وغيره مما يجعلنا نقول : انها براعة التأليف التي تنبع من  
 عمق أفكار المؤلف .

#### ٤ - الجمل في عوامل الاعراب :

وهذا الكتاب جعله عبدالقاهر جملا ترتيبا قريبا التناول ،  
 وضمنها جميع العوامل التي تهذب ذهن المبتدئ وفهمه وتعرفه  
 سمت الاعراب ورسومه ، وتفيد المتوسط في حفظ الأصول المفترقة  
 والأبواب المختلفة لنظمها في أقصر عقد ، وجمعها في أقرب حد ،  
 هذا هو هدفه من تأليف الكتاب ، أما عن منهجه فيه ، فقد جعله في  
 خمسة فصول ، أعرضها عرضا سريعا وموجزا حتى تتضح مكانة



المؤلف - رحمه الله - بين علماء هذا الفن .

**الفصل الأول :** فى المقدمات ، ويعنى بالمقدمات : مقدمات علم النحو  
أى : تقسيم الكلمات الى ثلاثة اقسام ( اسم وفعل وحرف ) مع بيان  
علامات كل من المعرب والمبنى منها ، وتكلم عن الملحق بالمشئى  
والجمع ، وذكر أن الجر والنصب يستويان فى خمسة مواضع هى :-

**الأول :** التثنية ،

**الثانى :** جمع المذكر بالياء والنون .

**الثالث :** جمع المؤنث بالألف والتاء

**الرابع :** مالا ينصرف .

**الخامس :** الضمير فى أكرمتك ومررت بك .

ثم ذكر أيضا فى هذه المقدمات ، حروف المدّواللين فى الفعل  
المعتل الآخر .

واستأنف الكلام فى الأسماء وعدّها على ضربين : معرب ومبنى -  
ثم المعرب على ضربين : منصرف وغير منصرف ، وعرف كلا منهما  
وبين أقسام غير المنصرف ، ثم أوضح المبنى والمعرب من الأفعال .

**الفصل الثانى :** العوامل من الأفعال ، وقد بدأ بالأفعال وذكر أنه  
بدأ بها ، لأنها الأصل فى العمل ، فهى تعمل الرفع والنصب فى  
الأسماء وبسط القول فى ذلك ، ثم شرع فى تقسيم العوامل من  
الأفعال فقال :

ومن الأفعال أفعال تجرى مجرى الأدوات ، وتختص بأحكام  
مختلفة ولا بد من عدّها :

أولها : كان وأخواتها . . .

- الثانى : أفعال المقاربة . . .
- الثالث : فعلا المدح والذم .
- الرابع : فعل التعجب .
- الخامس : فى ثلاثة - المفعول به - والخبر المنصوب -  
والتمييز - ثم ذكر أقسام الفعل المتعدى ، وأنها على أربعة أضرب .
- الأول : متعد الى مفعول واحد .
- والثانى : متعد الى مفعولين ثانيهما عبارة عن الاول .
- والثالث : متعد الى مفعولين ، الثانى منهما غير الأول .
- والرابع : متعد الى ثلاثة مفاعيل .
- وأما العام من النصب ففى خمسة أشياء :
- المصدر - وظروف الزمان - وظروف المكان المبهمة - والحال - وكل  
صفة منصوبة بمعنى فى حال كذا .
- الفعل الثالث : فى العوامل من الحروف : وهى أربعة أضرب .
- الاول : ضرب يرفع وينصب ، وهو إن وأخواتها . و ( ما ولا )
- الثانى : ما ينصب فقط وهو سبعة : الواو بمعنى ( مع ) و  
( الا ) فى الاستثناء وحرف النداء ، والأربعة الباقية النواصب  
للفعل المضارع .
- الثالث : ما يجزم فقط - وهو خمسة ، ( لم ولما ولام الأمر  
ولا للنهى وان للشرط والجزاء )
- الرابع : ما يجزم فقط وهو سبعة عشر حرفا وسبق ذكرها فى  
النوع الأول من العوامل المائة
- الفصل الرابع : فى العوامل من الأسماء . وهى على ضربين :

الأول : ضرب يعمل عمل الفعل ، اما مجازاً نحو : عشرون

درهما ، وكذا جميع الأسماء التي يكون لها تمييز .

وضرب يعمل عمل الفعل حقيقة - وهو خمسة :

اسم الفاعل - واسم المفعول - والصفة المشبهة - والمصدر - وكلمات تسمى أسماء الفعل .

الثانى : ضرب يعمل عمل الحروف ، وهى تعمل الجر

والجزم والجر فى الاضافة ، والاضافة على ضربين - بمعنى اللام

وبمعنى ( من ) .

الفعل الخامس : فى أشياء منفردة ، ويتضمن هذا الفصل أبوابا :

- باب المعرفة والنكرة

- باب التذكير والتأنيث

- باب التوابع

- باب العدد

- باب الاعراب الأصلية وغير الأصلية . وأظن أن هذا تعبير جديد

من المؤلف رحمه الله - لم أقف على مثله فيما اطلعت . هذا ،

وقد تناول فى هذا الباب غالبية أبواب النحو - مايتصل باعراب

الأسماء والأفعال ، كما تكلم فيه أيضا عن الاعراب الصريح

وغير الصريح ، وأعتقد أيضا أن هذا اصطلاح جديد لعبد القاهر

، لم أر مثله فيما اطلعت .

- باب المفرد والجملة .

..... وبعد ، فهذه عجالة عرضت فيها فصول هذا الكتاب ومن

خلال هذا العرض يتضح لنا فكر عبد القاهر العميق فى هذا الفن فضلا

عن مواهبه الفائقة فى فن التأليف حيث جمع شتات هذا العلم فى جمل قصيرة ذات بال ومفيدة ، الأمر الذى دفع الكثير من علماء العربية الى شرح هذا الكتاب والتعليق عليه ووضع الحواشى ، وفى مقدمة هؤلاء شمس الدين محمد بن أبى الفتح بن أبى الفضل بن أبى على اليعلى ، المتوفى سنة ٧٠٤ هـ . حيث قام بشرح الجمل فى كتاب سماه ( الفاخر فى شرح جمل عبدالقاهر )

وهو عبارة عن شرح جمل عبدالقاهر فى زهاء ( ١٦١ ) ورقة من الحجم الكبير ، وتوجد منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٢٠ نحو . وهذا الشرح على غرار شرح الرضى لكافية ابن الحاجب ، وشرح ابن يعيش لمفصل الزمخشري .

فالشارح يكتب المتن من جمل عبدالقاهر مصدرا القول بقوله ( قال - رحمه الله ) ثم يتبع ذلك بقوله : ( الشرح ) ويبدأ فى شرح ما ذكر فى المتن بإفاضة وبأسلوب سهل بعيد عن التعقيد اللفظى ، وبأفكار مرتبة ومنسقة ومبوبة بفصول وتقسيمات فنية تدعو الى اليسر فى التأليف .

ومن بين العلماء الذين اعتمد على آرائهم ومذاهبهم النحوية صاحب الكتاب - سيويه - والمبرد والفراء والكسائى - والسيرافى والأخفش وأبى على الفارسى والجرمى وابن خروف والشلوين وغيرهم وشواهد كثيرة من القرآن الكريم والشعر العربى .

هذا وقد اهتم صاحب كشف الظنون ( ١ : ٦٠٢ ) بهذا الكتاب

حيث ذكر له شروحا أخرى منها :

- شرح أبى محمد عبدالله بن محمد المعروف بابن السيد

- البطليموسى ، المتوفى سنة ٥٢١ هـ .
- شرح أبى الحسن على بن حسين الباتولى المتوفى سنة ٥٣٥ هـ  
وسماه الجواهر فى شرح جمل عبدالقاهر .
- ومنها شرح أبى محمد عبدالله بن أحمد الخشاب البغدادى  
النحوى المتوفى سنة ٥٦٧ هـ وسماه المرتجل .
- وشرح أبى الحسن على بن ابراهيم الأنصارى البلسى ،  
المتوفى سنة ٥٧١ هـ سماه الجلل .
- ومنها ثلاثة شروح لأبى الحسن على بن مؤمن بن عصفور  
النحوى المتوفى سنة ٦٦٩ هـ .
- وشرح أبى الحسن على بن محمد المعروف بابن خروف  
الخضرى المتوفى سنة ٦٠٩ هـ .
- وشرح أحمد بن عبدالمؤمن الشريشى ، المتوفى سنة ٦١٦ هـ .
- وشرح محمد بن على الغرناطى ، المتوفى سنة ٧١٥ هـ الى غير  
ذلك من الشروح الكثيرة التى ذكرها صاحب كشف الظنون وفى ذلك  
دلالة قاطعة على فضل المؤلف وجزارة علمه .
- ٥- التلخيص :

وهو شرح عبدالقاهر لكتاب الجمل السابق ذكره آنفا ، وان لم  
أقف على هذا الكتاب الا أن أهمية كتاب الجمل يجعلنا نتعرف على  
أهمية هذا الكتاب ، وبخاصة وأن مؤلف كتاب الجمل هو الشارح له ،  
وحسبى ان يكون ما فيه من فوائد ونفع وكشف للغموض أوقع مما فى  
غيره من الشروح السابق ذكرها آنفا .

## ٦- الأيجاز :

وهو كتاب أيضا لعبد القاهر ، اختصر فيه كتاب الايضاح لأبي على الفارسي ، وكتاب الايضاح هذا نعلم جميعا أنه من كتب النحو البارزة ، وعلى ضوء هذا نستطيع أن نقول : ان كتاب الايجاز لو وقع فى يد القارئ لأفاد منه فائدة عظيمة ، لأنه تلخيص لكتاب مفيد ، وقد أورد صاحب كشف الظنون ذكر هذا الكتاب ( ١ : ٢١١ ) -

## ٧- التكملة :

لم يذكر هذا الكتاب فيما اطلعت عليه من كتب التراجم - الا الوزير القفطى فى كتابه إنباه الرواة ، ولم اطلع على هذا الكتاب ولكن يمكننى أن أقرر من مفهوم تسمية الكتاب أن عبدالقاهر أراد أن يضيف بعض الموضوعات النحوية ربما أن يكون قد أغفلها أبو على الفارسي فى كتابه الايضاح ، أو ربما كان مراده من تأليفه توضيح بعض المسائل النحوية التى ذكرها صاحب الايضاح استكمالا للقول ، وأستطيع أن أقول أيضا : ربما كان تأليف هذا الكتاب على غرار ما ألفه أبو على الفارسي فى كتابه ( الاغفال ) وكان يعنى به توضيح ما أغفله الزجاج من المسائل النحوية فى كتابه ( معانى القرآن ) ، ومما يجعلنى أستبعد أن يكون هذا الكتاب تكملة لبعض مؤلفاته كالجمل والعوامل المائة ، أنه لم يترك شيئا من الأبواب والفصول التى ذكرها فى مقدمة كل كتاب الا وقد أعطاها حقها من العرض والايضاح ويعطى اشارة التمام فى نهاية الكتاب . والله أعلم بمراده .

## ٨- العمدة :

وهو كتاب فى فن التصريف ذكره صاحب كشف الظنون ( نهر

( ١١٦٩ ) والداؤدى فى طبقات المفسرين ( ص : ١٤٠ ) وان لم أفق عليه الا أن اهتمام أصحاب كتب التراجم به تعطينا اشارة الى أهميته فى هذا الفن .

هذا ، وله كتاب آخر فى علم العروض لم يذكره الا صاحب فوات الوفيات ٢ : ٢٩٧ . فضلا عن مختاراته من الشعر من دواوين المتنبى والبحترى وأبى تمام ، أوضح فيه سر اختياره لهذه المختارات وهذه حقيقة علمية يجب أن نتنبه اليها وهى كونه عالما ملهما فى فن العلوم العربية بجميع فروعها النحو والصرف والعروض والأدب والبلاغة ، فكان بحق نحويا أدبيا ارييا ناقدا صاحب ذوق فى كل فن من هذه الفنون .

ولقد كان لعلم النحو عنده الصدارة من بين هذه العلوم ، فما من علم ألف فيه الا كان يجعل جل اعتماده على النحو ، ويربط قضاياها البلاغية بعلم النحو ربطا وثيقا ، فنرى أنه يقول فى مقدمة كتابه (دلائل الاعجاز ) (٨)

( معلوم أنه ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض . والكلم ثلاث اسم وفعل وحرف ، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة - ويعنى بالتعليق : الارتباط أى : ارتباط الاسم بالفعل أو بالحرف والعكس . وهو لا يعدو ثلاثة أقسام :  
تعلق اسم باسم : وتعلق اسم بفعل ، وتعلق حرف بهما .

فتعلق الاسم بالاسم : بان يكون خبرا عنه ، أو حالا منه ، أو تابعا له صفة أو تأكيدا ، أو عطف بيان ، أو بدلا ، أو عطفًا بحرف ، أو بأن يكون الأول مضافا الى الثانى ، أو بأن يكون الأول يعمل فى

الثانى عمل الفعل ويكون الثانى فى حكم الفاعل له أو المفعول وذلك فى اسم الفاعل كقولنا : زيد ضارب أبوه عمرا ، وكقوله تعالى : « أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » . . . واسم المفعول كقوله تعالى : « ذلك يوم مجموع له الناس » . . . والصفة المشبهة كقولنا : زيد حسن وجهه . . . والمصدر كقوله تعالى : « او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما » . . . أو بأن يكون تمييزا قد جلاه - أى وضع ما قبله وفسره - منتصبا عن تمام الاسم ، ومعنى تمام الاسم : أن يكون فيه ما يمنع من الاضافة - كنون التشية ونون الجمع . . .

وأما تعلق الاسم بالفعل : فبأن يكون فاعلاله أو مفعولا . . . أو بأن يكون منزلا الفعل منزلة المفعول ، وذلك فى خبر كان وأخواتها ، والحال والتمييز المنتصب . . . الخ وذكر لذلك أمثلة كثيرة .

وأما تعلق الحرف بهما : أى بالاسم او بالفعل - فعلى ثلاثة أضرب :

أحدها : أن يتوسط بين الفعل والاسم ، فيكون ذلك فى حروف الجر التى من شأنها أن تعدى الأفعال الى ما لا تتعدى اليه بأنفسها من الأسماء كأن تقول : ( مررت ) فلا يصل الى نحو زيد وعمرو ، فاذا قلت : مررت بزيد أو على زيد وجدته قد وصل بالباء أو على ، وكذلك الواو بمعنى ( مع ) فى قولنا : تركت الناقة وفصيلها لرضعها . . . الخ .

والضرب الثانى : وهو أن يدخل الثانى فى عمل العامل فى الأول كقولنا : جاءنى زيد وعمرو ، ورأيت زيدا وعمرا ، ومررت بزيد وعمرو .



والضرب الثالث : يتعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه ، وذلك أن من شأن هذه المعاني أن تتناول ماتتناوله بالتقييد بعد أن يسند الى شئ . . . ومعنى ذلك أنك اذا قلت : ما خرج زيد ، وما زيد خارج ، لم يكن النفي الواقع بهما متناولا الخروج على الاطلاق ، بل الخروج واقع من زيد ومسند اليه ، ولا يفرنك قولنا فى نحو : لارجل فى الدار ، انها لنفى الجنس . . . الخ .

ثم يستأنف قائلا : وجملة الأمر أنه لا يكون كلام من حرف وفعل أصلا ولا من حرف واسم الا فى النداء نحو : يا عبدالله ، وذلك أيضا اذا حقق الأمر كان كلاما بتقدير الفعل المضمر الذى هو أعنى وأريد وأدعو ، و ( يا ) دليل عليه وعلى قيام معناه فى النفس . فهذه هى الطرق والوجوه فى تعلق الكلم بعضها ببعض ، وهى كما تراها معانى النحو وأحكامه . . . الخ ) .

فليس النظم اذن عند عبدالقاهر الا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تخل بشئ منها . وذلك أنا لانعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروقه ، فينظر فى الخبر الى الوجوه التى تراها فى قولك : زيد منطلق ، وزيد ينطلق ، وينطلق زيد ، ومنطلق زيد ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وزيد هو منطلق ، الى غير ذلك من المسائل النحوية والأمثلة .

وكذلك حتى يستقيم النظم لا بد أن ينظر فى الحروف التى تشترك فى معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية فى ذلك المعنى ،

فيضع كلا من ذلك فى خاص معناه ، نحو أن يجئى ب ( ما ) فى نفى الحال ، وب ( لا ) اذا أراد نفى الاستقبال وب ( أن ) فيما يترجح بين أن يكون والا يكون ، وب ( اذا ) فيما علم أنه كائن وينظر فى الجمل التى تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ( ثم ) ، وموضع ( أو ) من موضع ( أم ) ، وموضع ( لكن ) من موضع ( بل ) وينصرف فى التعريف والتنكير والتقديم والتأخير ، فى الكلام كله وفى الحذف والتكرار والاضمار والاظهار ، فيضع كلا من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة وعلى ماينبغى له النظم يرجع الفضل فيه الى مراعاة معانى النحو وأحكامه ، وفساده يرجع الى عدم مراعاة القواعد والأصول النحوية الأمر الذى يحدث خلافا فى المعنى وتعقيدا فى الأسلوب فيئول الى فساد النظم ، هكذا قرر عبدالقاهر فى ( دلائل الاعجاز ) ( ٩ )

هذا ، ولقد نعى عبدالقاهر على الذين زهدوا فى علم النحو واحتقروه واستصغروا أمره وتهاونوا فيه ، فعد صنيعهم هذا فى نظره شنيعاً ، لأن ذلك أشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله تعالى وعن معرفة معانيه ، ذلك لأن الالفاظ مغلقة على معانيها والاعراب هو الذى يفتحها ويوضح المراد من وضعها - ( ١٠ )

ولقد آثرت نقل نصوص صريحة من قول عبدالقاهر من المقدمة ومن بعض مواضع أخرى لأضع يد القارى على علم النحو عند عبدالقاهر ومدى اهتمامه فى جميع مؤلفاته البلاغية وليعلم الجميع أن عبدالقاهر من أئمة علماء النحو وأن تأليفه فى النحو سابق

على مؤلفاته فى علم البلاغة ، لأنه يبنى جميع معارفه على قواعد علم النحو وأصوله ، واذا استعرضنا مسميات أبواب كتابه ( دلائل الاعجاز ) نرى هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح ، فتجده يصدر الكتاب بمقدمة خاصة غير مقدمة الكتاب سماها ( مقدمة للمؤلف تبين وجه الحاجة الى علم النحو ) ثم يذكر فصول الكتاب على النحو التالى على سبيل المثال .

- الكلام فى النحو وتزويد الناس فيه
- التقديم فى الاستفهام
- مزية النظم تكون بمراعاة قواعد النحو
- تقديم المفعول بعد الاستفهام
- وقوع الاسم بعد النفى ووقوع الفعل بعده
- التقديم فى الاثبات
- تقديم النكرة على الفعل أو تقديم الفعل عليها
- حذف المبتدأ
- حذف المفعول به
- فروق فى الخبر
- محى الألف واللام فى الخبر
- التعريف بأل
- التعريف بالذى
- فروق فى الحال لها فضل تعلق بالبلاغة
- أسباب الحسن فى حذف الواو من الجملة الحالية .
- الاشكال يعرض فى الواو دون غيرها من حروف العطف .

الى غير ذلك من فصول ومباحث الكتاب وكلها يرتبط رباطا وثيقا بعلم النحو ، بل نجده يقدم فى كل فصل أو بحث بعرض مايتصل به من قواعد وأصول فى علم النحو مدعما قوله بأقوال فحول النحو كسيبويه والأخفش وأبى على الفارسي والفراء والكسائى وغيرهم ، ضاربا لذلك أمثله من القرآن الكريم أو الشعر أو كلام العرب ، وها أنذا أعرض فصلا واحدا على سبيل المثال لا الحصر .

يقول رحمه الله فى باب الحذف (١١) : ( هو باب رقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فانك ترى به ترك الذكر أفصح . من الذكر . . . . . وأنا أكتب لك بديئا أمثلة مما عرض فيه الحذف ، ثم أنبهك على صحة ما أثرت اليه ، وأقيم الحجة من ذلك عليه ( أنشد ) صاحب الكتاب :

اعتاد قلبك من ليلى عوائده  
وهاج أهواءك المكتونه الطلل  
ربع قواء أذاع المعصرات به  
وكل حيران سار ماؤه خضل (١٢)

قال : أراد ذاك ربع قواء ، أو هو ربع ، قال : ومثله قول الآخر . وهو  
عمر بن أبى ربيعة:-

هل تعرف اليوم رسم الدار والطللا  
كما عرفت بجفن الصيقل الخلا  
دار لمروة اذأهلى وأهلهم  
بالكانسية ترعى اللهو والغزلا

كانه قال : تلك دار ، قال شيخنا رحمه الله - يريد أبا على

الفارسي - : ولم يحمل البيت الأول على أن الربيع بدل من الطلل ، لأن الربيع أكثر من الطلل ، والشيء يبذل مما هو مثله أو أكثر منه ، فأما إبدال الشيء من أقل منه ففاسد لا يتصور ، وهذه طريقه مستمرة لهم إذا ذكروا الديار والمنازل ، كما يضمرون المبتدأ فيرفعون ، فقد يضمرون الفعل فينصبون كبيت الكتاب أيضا .  
وهولدى الرمة :

ديار مية اذ مي تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب  
أنشده بنصب ( ديار ) على اضمار فعل ، كأنه قال : اذكر ديار مية .  
ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف  
يبدءون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول  
ويستأنفون كلاما آخر ، واذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من  
غير مبتدأ ، مثال ذلك قوله : وهو عمرو بن معديكرب الزبيدي :  
وعلمت أني يوم ذا ك منازل كعبا ونهدا  
قوم اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا ( ١٣ )

- وذكر في هذا الموضوع كثيرا من الشواهد الشعرية وكلام العرب . ثم  
لننظر كيف كان يبني بلاغته على أصول القواعد النحوية ، وينتقل من  
النحو الى البلاغة ليربط جميل المعاني فنراه يقول : فتأمل الآن هذه  
الآيات كلها واستقرها واحدا واحدا وانظر الى موقعها في نفسك  
والى ما تجده من اللطف والظرف ، اذا أنت مررت بموضع الحذف منها  
ثم قلبت النفس عما تجده ، وألطفت النظر فيما تحس به ، ثم  
تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وأن تخرجه الى لفظك وتوقعه في  
سمعك ، فانك تعلم أن الذي قلت كما قلت ، وأن رب حذف هو قلادة

الجيد ، وقاعدة التجويد .

ثم يعود فينلقنا الى بعض الشواهد الأخرى ليزين بها الكلام  
ويزيده وضوحا فى ذهن السامع مستندا فى ذلك الى القواعد النحوية  
فيقول :

وإذا أردت ما هو أصدق فى ذلك شهادة وأدل دلالة فانظر الى قول  
عبدالله بن الزبير ، يذكر غريماله قد ألح عليه :

عرضت على زيد ليأخذ بعض ما  
يحاوله قبل اعتراض الشواغل  
فدب دبيب البغل يألم ظهره  
وقال تعلم أنتى غير فاعل  
تثاءب حتى قلت داسع نفسه  
وأخرج أنيابا له كالمعاول (١٥)

الأصل حتى قلت : هو داسع نفسه ، أى حسبته من شدة الثأوب ومما  
به من الجهد يقذف نفسه من جوفه ويخرجها من صدره كما يدسع  
البعير جرته (١٦) . ثم انك ترى نصبة الكلام وهيئته تروم منك أن تنسى  
هذا المبتدأ وتباعده عن وهمك وتجتهد الا يدور فى خلدك ،  
ولا يعرض لخاطرك ، وتراكم كانك تتوقاه توقى الشئ يكره مكانه . . .  
ثم استطرد فى ذكر الأمثلة و الشواهد والتعليق عليها بما يفيد أن جمال  
المعنى لا يقع فى النفس الا بعد توخى معانى النحو فى الكلام .

ثم ينتقل بنا بعد ذلك الى حذف المفعول به ويقرر أن صلة  
المفعول به بالفعل كصلة الفاعل ، وعلى الرغم من أن الحاجة اليه  
أمس ، الا أن اللطائف كأنها فيه أكثر اذا حذف من الكلام ، وما

يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر ، ومن أراد مزيدا من القول فليرجع الى باب ( الحذف ) فى دلائل الاعجاز .

أما بعد . فهذا بحث متواضع أضعه بين يدى القارىء ، عرضت فيه طرفا من جهود عبدالقاهر النحوية ، وأبرزت فيه مؤلفاته فى علم النحو ، وذكرت أن مؤلفاته فى علم البلاغة قد بناها على عمد القواعد النحوية ، ولم يكن فى نفسه يوم أن ألف دلائل الاعجاز أن يفصل البلاغة عن النحو ، بل كان ما ألفه فى كتابيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ما هو الاثمار فهمه لعلم النحو فكان هذان الكتابان بمثابة تطبيق لفلسفته النحوية ، وهذا واضح فى كلامه عن قضية النظم .

ومع هذا العلم الغزير والنتاج القيم ، والمواهب الفائقة ، لست أدرى لماذا أغفل العلماء جهوده النحوية ، ومؤلفاته الفريدة الغزيرة فى مادتها بينما اهتموا به فى جانب البلاغة ، فى الوقت الذى كان جل اعتماده فى مؤلفاته البلاغية على علم النحو كما ذكر !

وأستطيع أن أقول : على الرغم من شهادة العلماء له بالبراعة فى علم النحو وأنه كان اماما للنحاة فى عصره ، الا أن تدريس كتابه العوامل المائة فى المدارس الدينية بباكستان وبعض الدول الأخرى ونقل بعض العلماء عنه فى كتبهم كالزمخشري فى الكشاف ، وابن هشام فى مغنى اللبيب ، والمنتجب الهمداني فى كتابه الفريد فى اعراب القرآن المجيد وغيرهم ، مع اغفالهم لمؤلفاته التى لانجد بعضها ، هذا لا يلىق بمكانته العلمية .

فهو بحق امام نحوى أديب أريب ، يعد من أئمة النحاة حيث أدلى بدلوه فى هذا المحيط ، فأخرج لنا دررا نفيسة - غفر الله له - ونفعنا

بعلمه أمين . وصلى الله على من نطق أفصح لسان وآتاه الله الحكمة  
وفصل الخطاب .

## المراجع

- (١) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني - ط - عيسى الحلبي القاهرة
- (٢) الأعلام للزركلى ط - القاهرة
- (٣) أنباه الرواة على أنباه النحاة - للقفطى - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - ط القاهرة
- (٤) أوضح المسالك - لابن هشام ط - القاهرة
- (٥) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة . للسيوطى ط - القاهرة
- (٦) الجمل لعبد القاهر الجرجاني - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٨٣٣ نحو
- (٧) دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني ط - القاهرة
- (٨) الرسالة الشافعية - لعبد القاهر الجرجاني - ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن - حققها وعلق  
عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام - ط القاهرة
- (٩) روضات الجنات لابن الحاجى ط - القاهرة
- (١٠) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلى ط - القاهرة
- (١١) بغية الايضاح . - للخطيب القزوينى - تعليق الاستاذ عبدالمتعال الصعدي . ط - القاهرة
- (١٢) طبقات الشافعية - لتاج الدين السبكي - ط - القاهرة
- (١٣) طبقات الشافعية - لتاج الدين السبكي - ط ، القاهرة .
- (١٤) عبد القاهر والبلاغة العربية - للاستاذ د محمد عبدالمنعم خفاجى ط - القاهرة
- (١٥) عبد القاهر الجرجاني - للأستاذ د أحمد أحمد بدوى - ط - القاهرة
- (١٦) العوامل المائة - لعبد القاهر الجرجاني - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١ ، ٧٨ لفة
- (١٧) الفريد فى اعراب القرآن المجيد - للمنتجب الهمذاني - تحقيق د/فؤاد مخيمر ود/فهمى النمر
- (١٨) فوات الوفيات - لمحمد بن أحمد الكنتي - ط - القاهرة
- (١٩) الكشاف للزمخشري - ط - القاهرة
- (٢٠) الكتاب لسيبويه - تحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون - ط - القاهرة
- (٢١) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - لحاجى خليفة - ط - الأستانة
- (٢٢) مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان ، فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان . لليافعى المكي ، ط - حيدر  
آباد .
- (٢٣) معجم الأدباء - لياقوت الرومى ط - دار المأمون .



- (٢٤) معنى اللبيب - لابن هشام - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - ط - القاهرة .
- (٢٥) المقتصد فى شرح الايضاح - لعبد القاهر - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١١٠٣ نحو .
- (٢٦) نظرية عبدالقاهر فى النظم - للدكتور درويش الجندى - ط - القاهرة .
- \*\*\*\*\*
- (١) انظر بغية الوعاة ٣١٠ - ٣١١ وأنباه الرواة ٢: ١٨٨ وفوات الوفيات ٣٧٨ - ٣٧٩ وطبقات الشافعية ٢٤٢ : ٢
- (٢) انظر انباه الرواة ٢: ١٨٨ وبغية الوعاة ١٨٧
- (٣) انظر معجم الأدياء ١٤ : ١٤
- (٤) أنظر كشف الظنون ١ : ٢ ، ٦
- (٥) أنظر كشف الظنون ٢ : ١٨٧٩
- (٦) انظر انباه الرواة ٢ : ١٨٨ وبغية الوعاة ٢٩٠ ، ٣١١ وروضات الجناب ٤٤٣ وشذرات الذهب ٣٤٠ ٣ وطبقات الشافعية ٣ : ٢٤٢ ، وفوات الوفيات ١ : ٢٩٧
- (٧) طبقات المفسرين : ١٤٠ -
- (٨) انظر دلائل الاعجاز : ٥ ، ٦ ، ٧
- (٩) انظر دلائل الاعجاز ، ص ٦٤ ، ٦٥
- (١٠) مصدر سابق ، ص ٣٠
- (١١) انظر دلائل الاعجاز : ١٠٤ - ١١٠
- (١٢) قواء : لا أنيس به وأذاع بمتاعه . ذهب به ، والمعصرات . السحاب والحيران : السارى ، هو المزن . والخضل : الكثير والمراد أن السحاب أنزلت ماء ها بكثرة حتى ذهبت به وطمسته ، وكذلك المزن الكثير الماء
- (١٣) الجفن : القراب والصيقل : السيف المصقول . الخلل بالكسر : واحدة خلة وهى تطلق على جفن السيف المغطى بالجلد .
- (١٤) كعب ونهد : قبيلتان ، تنمروا : تشبهوا بالنمر . والحلق : حلق الدروع ويعبر بها عن الدروع . والقذ : جلد يلبس فى الحرب .
- (١٥) دسع : قاء ملء الفم ، ودسع بقيه رمى به .
- (١٦) الجرة : بكسر الجيم ما تخرجه الابل من كروشها فتجره ، والجمع : جرد